

الفصل السادس:

الغاضبة

عن الثورة

والغضب

والألم الحقيقي

سارت بي ناريا بشيء من العسر عبر ممرات الوكر بحثاً عن رئيس الثوار.. بعد أسبوع من التخطيط، مازالت تحركات الثوار مبهمة بالنسبة لها.. لا تجدهم يتأهبون للسفر إلى العاصمة كما خططوا ولا يقومون إلا بعمليات محدودة في هيمانيا.. وهذا ما تستغربه.. فما الداعي لاستمرار العمليات في المدينة مع أنهم سيغادرونها قريباً؟ ألا يعني القضاء على مانيم انتهاء مشاكل هيمانيا كلها؟..

عندما اقتربت من إحدى الغرف رأت الرئيس وهارولان مع رجل آخر يتحدثون بصوت خفيض، مما جعلها تلقائياً تقف قرب الباب متنصتة لملاحظة أنهم لم ينتبهوا لصوت عكازها.. كان الرجل يقول "رغم كل ما بذلناه، مازال الجندي يصر أنها مجرد فتاة ولا يعرف هويتها الحقيقية.. لا يبدو أن أحداً يعلم من تكون سوى الوالي.. وهذا مما يدعو للدهشة.. لم هي محاطة بكل هذه السرية؟"

قال هارولان "لا أعتقد أن لهذا علاقة بكونها وصيفة.. هناك أمر آخر يخفى علينا.. وهذا ما حذرتكم منه..". قطبت بي ناريا بقلق وهي تسمع الرئيس يقول "هذا ما لا أعرف كيف أتبينه.. وجودها معنا فيه خطورة لو تبين لنا أنها مدسوسة علينا.. لكنني لا أستطيع أن أتعامل معها بشدة فهي مجرد فتاة.. وليس من أخلاقنا إيذاء فتاة..".

علق هارولان "لكنني أؤكد لكم أنها تخفي الكثير.. نظراتها الحذرة والمتنبهة لما يجري في الوكر لا تطمئن أبداً.. هناك سر تخفيه عنا وأنا لن أهدأ....."

سمعت بي ناريا في تلك اللحظة صوتاً خلفها يقول بحده "ما الذي تفعلينه؟"

التفتت خلفها مجفلة لتجد رجلاً من الثوار ينظر لها بتشكك، ثم جذبها لتدخل إلى الغرفة وسط نظرات البقية المندهشة.. فقالت بي ناريا بحدة وهي تجذب يدها "أبعد يدك عني..".

سمعت هارولان يقول "هذه نقطة أخرى ليست في صالحك يا فتاة..".

قالت بجفاء "من الطبيعي أن أنتصت عندما أسمع اسمي يتردد بهمس في المكان.. هذا فعل طبيعي خاصة أنني لا أعرفكم حقاً..".

قال الرئيس "ألن تفصحي عن هويتك الحقيقية لنا؟.. لا أريد المزيد من الشكوك أن تثار حولك، فعملنا الحساس لا يجعلنا نتعامل بأريحية مع من نشك فيه..".

أجابت "أنا كما قلت لكم.. وصيفة في القصر حاولت مساعدة بي ناريا على الهرب.. وهذا ما أثار حفيظة مانيم ضدي.. ما الذي لا تصدقونه في كل هذا؟"

تبادل الثلاثة النظرات الصامتة، ثم قال الرئيس "حسناً.. لن نرغمك على قول المزيد.. لكنني أتمنى أن تتوقفني عن التصنت على ما يدور في الوكر.. فلا أريدك أن تثيري حنق الرجال عليك..".

استدارت بي ناريا شامخة برأسها وخرجت من الغرفة قاصدة العودة إلى غرفتها، رغم أنها لم تكن تستطيع السير بسرعة بسبب جبيرتها.. لم تكن تريد إثارة المزيد من الشبهات حولها، لكنها لم تستطع منع نفسها من محاولة معرفة ما يدور خلف ظهرها، خاصة مع هؤلاء الثوار الذين لا تأمن جانبهم..

قبل أن تبلغ الغرفة، انتبهت إلى من يسير خلفها، فلم تلتفت وهي تدلف غرفتها وتغلق الباب خلفها، لكنها فوجئت بهارولان يدفع الباب قبل أن تغلقه.. فيدلف خلفها مغلقاً باب الغرفة عليهما.. تراجعت بي ناريا قائلة بهجوم "ماذا تريد؟"

اقترب هارولان منها متسائلاً "أحقاً أنت وصيفة؟ ألا تخفين ما هو أكثر من ذلك؟" قطبت معلقة وهي تتراجع "أما اكتفين من هذا الاستجواب؟ هل أرسلك رئيسك إلي لتكمل ما لم ينهه هو؟" قال هارولان وهو يممسك ذراعها بقوة ليمنعها من التراجع "لست بحاجة لأمر من أي أحد.. الوصيفة لا تتعامل بالغطرسة التي لا تحاولين إخفاءها.. الوصيفة من عامة الشعب، مهما طال عملها في القصر، ولن تتحلى بهذا الكبرياء والغرور الذي لا تخفيه عيناك.."

صمتت بي ناريا وهي لا تستطيع إخفاء النظرة المتحدية من عينيها، فأضاف "من تكونين حقاً؟ ألسنت من العائلة الحاكمة في يناساً؟"

غمرتها نفضة خفيفة وهي تقطب دون أن تبعد بصرها عنه، فلم تفته تلك النفضة وهو يقول "أخبرت أنك لن أهدأ حتى أكتشف ما تخفينه.. هل ستعترفين أم اتخذ معك تصرفاً آخر؟"

أجابت بعصبية "لا يهمني ما ستفعله، أنا مجرد وصيفة ولن أكذب وأدعي أنني شخص آخر.. إن كنتم لا تصدقونني فدعوني أرحل.. أنتم تزعجونني بما فيه الكفاية.."

ظل هارولان مثبتاً نظراته عليها وهي تحاول التماسك أمامه، وإن ازدادت نفضة جسدها بشكل جعله يفلتها ويزفر متخللاً شعره بيده قبل أن يقول "ستظهر الحقيقة يوماً.. وأتمنى ألا نكتشف أنك على صلة بببي ناريا.."

وغادر تاركاً إياها تجلس على سريرها عاضة شفيتها.. لو اكتشفوا أمرها الآن.. لو عرفوا حقيقتها كملكة لا كوصيفة.. فما الذي قد يفعلونه بها؟.. نبرة هارولان وهو ينطق اسمها جعلت قشعريرة تسري في جسدها لا تدري سببها.. فتنهدت وهي تستلقي وتضع ذراعها على وجهها متسائلة في سرها إن كانت أمورها ستمضي على خير مع الثوار حتى تعود للعرش.. أم أن عليها تدبير خطتها الخاصة بعيداً عنهم..

رغم مرور ما يقارب الأسبوعان على بي ناريا وهي برفقة الثوار، إلا أنها لم تألف وجودها بينهم ولم تتألف معهم بعد.. ظلت تقيم الحواجز بينها وبينهم وزادتها تصرفات هارولان، الذي ما فتى يسخر من كل ما تقوله أو تفعله، بعداً عنهم.. وحتى في قاعة الطعام التي يجتمعون فيها عادة كانت تجلس في جانب المكان منعزلة وتأكل ما تستطيعه من طعامهم الذي تراه خالياً من الشكل والطعم واللذة.. لكن لا يفوتها أثناء ذلك رؤية تهافت بعض الفتيات لخدمة هارولان وتقديم ألد الطعام إليه وكأنه ملك غير متوج، مما يزيد حنقاً واستنكاراً.. ما الذي يريه في هذا الرجل الجلف والذي لا يكف عن السخرية والضحك طيلة النهار؟.. وفي الليلة التي جلست سوبي قريباً منها عند تناول العشاء، قالت بي ناريا بشكل عرضي "ما الذي يجعل الفتيات يتنافسن على اهتمام هارولان"

بهذه الطريقة؟ إنه ليس رئيساً للثوار ولا حتى نائباً له.."

قالت سوبي مبتسمة "ألا تحبين المنافسة؟"

قالت بي ناريا معترضة "وهل ترينني أركض خلفه؟ لكنني أتعجب من تدافع الفتيات حوله بشكل أحمق.. ألا يجدن عملاً أفضل من هذا؟"

هزت سوبي كتفيها معلقة "كل من تنظم للثوار تجد نفسها منجذبة إليه بشكل خاص.. شخصيته، وهيئته، ومكانته بين بقية الثوار.. من حسن حظهن أنه الآن أرمل.."

تساءلت بي ناريا بدهشة "أرمل؟"

أجابت سوبي "هذا كان منذ زمن بعيد.. يبدو أن أباه قد أجبره على الزواج من ابنة عمه التي بالكاد قد تجاوزت مرحلة الطفولة، وذلك بعد فقدانها لعائلتها، حتى تظل في رعاية هارولان.. لكنها كانت تعاني من المرض وما لبثت أن توفيت قبل أن تكمل الخامسة عشر من عمرها.. هذا الأمر يزيد من شعبيته ويجعل الفتيات يتعاطفن معه أكثر.."

غمغمت بي ناريا وهي تراه يتبادل حديثاً ضاحكاً مع جماعة من الرجال "ويبدو أنه يستمتع بهذا.."
علقت سوبي قائلة "أؤكد لك أنه لا يهتم بأمرهن البتة.. أكاد أجزم أنه لا يفرق بين إحداهن وأخرى.. لكن كل منهن تمنّي نفسها بأنها مختلفة.."
سألتها بي ناريا "وأنت؟"

ابتسمت سوبي مجيبة "أنا أعتقد أن هذه الألعاب الطفولية التي يمارسها لن تجعله يحبني بالتأكيد.. لو أنه أبدى اهتماماً خاصاً بي فلن يكون هذا لأنني اعترض طريقه كل صباح.. وأنا متأكدة أنك مقتنعة بالمثل.. أليس كذلك؟"

قالت بي ناريا معترضة "أؤكد لك أنه لا يحتل أي حيز من اهتمامي.."

لم تعلق سوبي بكلمة وهي تتناول طعامها بصمت، بينما تشاغل بي ناريا بتقليب الطعام أمامها وهي تفكر فيما قالته سوبي.. ودون أن تنتبه وجدت عيناها تعودان تلقائياً جهة هارولان، فقالت سوبي بخبث "رغم إنكارك، فعيناك تفضحانك.."

هتفت بي ناريا "قلت لك إنني لا أبالي به.."

جذب هتافها بعضاً ممن جلس قريباً منهما، فخفضت بي ناريا صوتها وهي تقول بغيط "لا تطلقني الأحكام مرة أخرى دون دليل"

ضحكت سوبي معلقة "مهما كان اعتراضك، فانا أجد في عينيك انجذاباً واضحاً للأرمل الوسيم.."
نظرت لها بي ناريا بغيط، من أين استنتجت هذه الفتاة شيئاً كهذا؟ غمرها الضيق من هذا الاتهام مما جعلها تدافع عن نفسها مشيخة بوجهها "وسيم؟ لا أرى أمامي أية وسامة.. الجرح في خده يؤدي بصري كلما وقع عليه.. بالإضافة إلى أنه عادي الملامح ربما أقرب إلى بربري منه إلى رجل وسيم كالذين كنت أراهم في العاصمة.."

قالت سوبي وابتسامتها تتسع "حقاً؟.. ربما بربريته هذه هي ما تجعله وسيماً حقاً، لا كالوسامة الناعمة لأولئك الرجال الأقرب إلى فتيات في العاصمة.. كما أن بعض الفتيات هنا يرين جرح هارولان جذاباً أكثر منه منفراً" نظرت إليها بي ناريا باستنكار، ثم قالت وهي تقف وتستدير بأنفة مبتعدة دون أن تنهي طعامها "أنا لا أحب الرجال الهيمانين.. في الواقع وجوههم منفرة كثيراً ولكنهم تخدش مسامعي.. لن أعود على مرأهم أبداً" وغادرت وعكازها يضرب الأرض وسط نظرات البقية، وسوبي تتبعها متسائلة بضيق "هل هذا يعني أنك تكرهين لكنتي؟ لم أكن أعرف أنك متعصبة لسكان العاصمة كثيراً"

قالت هازة كتفيها "عشت طوال عمري هناك ولم أحتك إلا بسكانها.. لذلك فكل ما هو ليس مألوفاً بالنسبة لي أجده منفراً.. ولا أعنيك أنت بذلك فعلاً.."

لم يغادر الضيق سوبي مما أشعر بي ناريا بأنها تصرفت بتعالٍ أكثر مما ترغب بإظهاره مما قد يثير الشكوك حولها، فرققت لهجتها وهي تغتصب الجملة التالية من حلقها قائلة "أنت صديقتي الوحيدة.. فكيف تكونين كذلك إن كنت أكرهك بأي شكل من الأشكال؟"

ابتسمت سوبي وبدا التفسير يروقها، بينما صمتت بي ناريا مبتلعة تعاليها وهي تنظر إلى الفتاة.. كانت تأنف من مصادقة الفتيات كما فعلت دائماً، لكنها شعرت أن نثر الكره من حولها لن يعود عليها بفائدة وهي بحاجة لعون هؤلاء الثوار بشدة.. لذلك كان عليها التغاضي عن بعض التنازلات التي عليها تقديمها..

جلست بي ناريا في سريرها بانتظار الطبيب الذي أخبرتها سوبي أنه قادم لمعاينتها.. كان قد مر عليها أسبوعان تقريباً منذ كسرت ساقها، قضتاهما في الإجابة على أسئلة رئيس الثوار، وانتظار انتهاءهم من ترتيباتهم وخططهم المزمعة للإطاحة بمانيم.. كان الهدوء يعم المكان بشكل مريب بعد أن غادر أغلب الرجال لأداء مهامهم الموكلة إليهم، بينما انشغلت النساء بتحضير طعام العشاء في المطبخ البعيد عن غرفتها.. بعد فترة طالت أو قصرت، وجدت بي ناريا الطبيب يدخل صامتاً وهارولان يتبعه متسائلاً "هل سيطول الأمر؟ يجب أن أعيدك إلى منزلك وأنطلق في عملي بأسرع وقت"

قال الطبيب "يجب أن أزيل هذه المادة من ساقها.. وهذا سيتطلب بعض الوقت.."

لم يعلق هارولان أو بي ناريا بكلمة بينما انهمك الطبيب في خلع المادة الصفراء من حول ساق بي ناريا، وتأكد من التحام عظامها بشكل سليم وبي ناريا تتطلع لما يفعله بصمت.. بينما وقف هارولان قرب الباب يتأمل ما يجري.. شعرت به يطيل النظر إليها دون أن تجرؤ على الالتفات إليه محتفظة ببرودها وإن شعرت بضيق شديد.. مجرد وجوده قريباً يجعلها بحالة من الضيق والتوتر لم تعدها من قبل، ولا تملك لها تفسيراً إلا أن شخصيته بغیضة أكثر مما قد تستطيع تحمله..

بعد أن انتهى الطبيب من عمله نهض ململماً عدته وهو يقول "لقد أصبحت على أتم ما يرام.. لكن انتبهي لكي

لا تتعرض ساقك للطة قوية أخرى.. فلا تزال أضعف حالاً من الأخرى.."
وخرج من الغرفة دون أن تشكره بي ناريا بكلمة.. لكن هارولان لم يتحرك من موقعه وهي تتجاهله بشكل تام،
حتى سمعته يقول بهزء "سمعت أنك لا تحبين اللكنة الهيمانية..!"
قالت مقطبة "سوبي قالت لك ذلك؟"
هز كتفيه مجيباً "هي أبدت ضيقها من الأمر فقط"
فقالت "أجل.. لا أطيق هذه اللكنة.. أبغض وقعها على مسامعي"
ضحك بشكل فاجأها وهو يعلق "ما كان عليك المجاهرة بذلك.. الهيمانينيون يفخرون بلكنتهم ويأنفون من التحدث
بلكنة ناعمة مائعة كأهل العاصمة.."
قالت بغير اهتمام "كل له وجهة نظره"
ثم أضافت بحذر "ما الذي أخبرتك به سوبي أيضاً؟"
قال بخبث "وما الذي يهكم فيما قالته؟"
رفعت رأسها قائلة "يهمني ألا تنقل الكلام الزائف على لساني.. هذا كل ما في الأمر"
قال بابتسامة متسعة وهو يبتعد "أنا واثق أنه لم يكن زائفاً.. واثق تماماً"
احمر وجهها وهي تتخيل ما قد تكون سوبي قالته له.. لقد صور تفكير سوبي البسيط لها أن بي ناريا واقعة
في هوى هارولان.. فهل أخبرته بذلك؟ تأففت محاولة تمالك ضيقها وإحراجها مما قد يدور في ذهن هارولان
عنها.. هل سيظنها مدلهة في حبه؟ رأت سوبي تدلف الغرفة في تلك اللحظة قائلة بابتسامة "رائع.. أصبحت
طليقة الآن.."
قالت بي ناريا بحلق "ما الذي أخبرته لهارولان؟"
بدت سوبي متفاجئة وهي تقول بتردد "أنا؟"
قالت بي ناريا "أجل.. لقد عرف منك أنني أكره اللهجة الهيمانية.. فما الذي أخبرته عني غير ذلك؟"
قالت سوبي وقد بدا الإحراج على وجهها "لم أقصد أن أشكوك إليه.. لقد كنت متضايقة جداً وهو سألني عن
السبب.. هذا كل ما في الأمر"
سألتها من جديد بضيق "ماذا أخبرته غير ذلك؟"
قالت سوبي بسرعة "لا شيء.. هذا كل ما دار بيننا"
فقطبت بي ناريا مغممة "لكنه أوحى لي بغير ذلك.."
قالت سوبي مبتسمة "لبد أنه كان يغيظك فقط.. يحلو لهارولان أن يستثير سريعي الغضب مثلك"
زمت بي ناريا شفيتها بضيق حانق وهي تترك سوبي الحائرة مغادرة الغرفة.. تباً لهؤلاء الاثنين.. لقد جعلها
تنشغل في أمور تافهة وهما يلهوان بمشاعرهما.. لكن هذا لن يتكرر حتماً.. لن يتكرر أبداً..

تعالت الطرقات على باب ذلك المنزل في وسط المدينة، وبعد لحظة انتظار فتح الباب ليظهر من خلفه رجل يحمل وجهه قلقاً وتوتراً اشتعلا على الفور وهو ينظر إلى الرجلين اللذين سارعا بالدخول إلى داره وأحدهما يقول "جيد أنك هنا.. حظر التجوال قد بدأ والدوريات تملأ المكان.."

قال الرجل بقلق شديد "ما الذي جاء بكما إلى هنا؟ سيثير وجودكما الآن شكاً كبيراً والشكوك تدور حولي بالفعل.."

قال أحد الرجلين "منذ ظهور تلك الفتاة غدا الجنود مسعورون أكثر وهم يشددون حظر التجول ويعتقلون كل من يخالفه ولو لوقت قصير.. لو حاولنا العودة إلى المقر في هذه الأجواء فسينكشف أمرنا ولاشك ويقع الجميع في خطر.."

قال صاحب الدار وهو ينظر من النوافذ المسدلة الستائر "بالفعل.. لقد صارت الدوريات أكثر كثف والقوانين مشددة أكثر وهم يكررون أن من يعاون تلك الفتاة مصيره الموت ولاشك.."

علق أحد الرجلين الآخرين "أتظنان أنها حقاً وصيفة؟ هذا لا يتطابق مع كل الإجراءات المتبعة للقبض عليها.."
غمغم الآخر "من يدري؟ هذا ما تصرّ هي عليه، والجنود رفضوا البوح بشخصيتها في بحثهم عنها"
تعالت في تلك اللحظة طرقات قوية على الباب بشكل أجفل له الثلاثة، ثم أسرع صاحب الدار إلى النافذة لينظر من فرجة في ستائرها، وسرعان ما همس بانتفاضة "إنهم الجنود.."
هَبَّ الرجلان واقفين وأحدهما يهمس بشحوب "تباً.. ما هذا الحظ السيء؟"
أسرع صاحب الدار يدفعهما قائلاً "اختبئاً في إحدى الخزائن.. قد يكتفون بإلقاء بعض الأسئلة ولا يفتشون الدار كلها"

قال أحد الرجلين مقطباً "هذا تصرف أحمق.. اختبأنا سيدل على أننا نخفي شيئاً ويثير الشك حولنا إن قام الجنود بالتفتيش.. فلنجلس بهدوء ونخبرهم أن حظر التجول منعنا من العودة لديارنا ففضلنا المبيت عندك هذه الليلة"

تعالت الطرقات بعنف أشد مع نداء الجنود، فقال صاحب الدار زافراً "لا بأس.. سأفتح لهم ونرى ما سيفعلونه"
وبعد أن تلا بضع صلوات صامته، فتح الباب لتظهر أمامه فرقة من الجنود يتقدمها أحد الضباط الذي قال وهو يدلف إلى المنزل "ما الذي أحرّك كل هذا الوقت لتفتح الباب؟"

غمغم صاحب الدار ببضع كلمات مبهمّة وهو يفرك يديه بقلق، فيما دلف بقية الجنود بإشارة من الضابط لينتشروا في الدار ويبدأوا تفتيشهم، فيما بقي جنديان مع الضابط مشهرين سلاحيهما بتهديد.. عندها قال صاحب الدار بقلق "ما الداعي لكل هذا يا سيدي الضابط؟ ما الذي يجعلكم تفتشون داري بهذه الطريقة؟"
قال الضابط متجاهلاً سؤاله "من هذان؟"

قال صاحب الدار "صديقان لي.. كانا قادمين لزيارتي عندما ابتدأ حظر التجوال ولم يستطيعا العودة لديارهما.."

صمت الضابط يتأملهما بتمعن، ثم عاد إلى صاحب الدار وسأله فجأة "أين الفتاة؟"

بهت الرجل وهو ينظر إلى الضابط بنظرة فيها شيء من الغباء.. ثم قال بكلمات متقطعة "الف... الفتاة؟ أية فتاة؟ أنا لا..."

قاطعه الضابط بصرامة "الفتاة التي لجأت إلى منزلك ليلة كاملة قبل أسبوعين.. الفتاة التي قلبنا المدينة كلها رأساً على عقب بحثاً عنها.. الفتاة التي سيطر عنقك إن لم تسلمها لنا حالاً.."

قال الرجل بارتجافة أكبر "أنا لا علم لي عن أي فتاة تتحدثون.. أنا أعيش وحدي كما ترون، ولم أفعل أي شيء يخالف القانون"

قال الضابط وهو يدور حوله "لا داعي للإنكار.. نحن كنا نعرف أنها لجأت لشخص ما في هذه المدينة.. لكن لم نعلم من هو.."

فقال الرجل بشيء من الأمل "إذن ما الذي يجعلكم تشكّون فيّ بالذات؟"

قال الضابط وهو يحده بنظرة حادة "استجبونا الكثيرين من المناطق القريبة من الحادث الذي أصاب الفرقة التي تم تكليفها باستعادة الفتاة.. ومنهم أحد السكان في هذه المنطقة.. وبعد التحقيق العنيف معه، اعترف بأنه رأى رجلاً يحمل فتاة غريبة ويدلف إلى هذا المنزل، وهو يعلم أن هذا منزل رجل وحيد.. ثم يخرج بها بعد يوم بنفس السرية.."

شحب وجه الرجل بدون تعليق، فيما أضاف الضابط "في البدء ظن الأمر مجرد عبث.. لكن بعد التعميمات التي نشرت بحثاً عن الفتاة، ومع الاشتباه بتورطك مع الثوار، فإن هذا كان دليلاً قاطعاً على أنك أنت من خبأ الفتاة ليلة الحادث، وأنت من ساعد على تهريبها لتنضم إلى الثوار.."

هتف الرجل "هذا كذب.. ذلك الرجل يحاول إلقاء التهمة عليّ ليدراها عن نفسه.."

تلقى لكمة من أحد الجنود ألقت له للوراء مسببة دحرجة لرفيقه، بينما أضاف الضابط وهو يجلس في جانب المكان قائلاً "لا داعي للإنكار.. نستطيع التوصل لما نريد معرفته مهما طالّت مقاومتك.."

عاد بقية الجنود وأحدهم يقول "فتشنا المنزل بدقة سيدي ولم نعثر للفتاة على أثر، كما أن المنزل لا يحوي أي مخابيء سرية أو ممرات تؤدي للخارج.."

فقال الضابط وهو يتأمل الرجل بنظرة حادة "أحيطوا المنزل كله وامنعوا أحداً من التدخل.. لن أغادر هذا المكان قبل أن أحصل على ما أريد.."

انطلق الجنود لتنفيذ أمره.. بينما ارتجف الرجال الثلاثة وهم يتبادلون النظرات المرتعبة، ويحدقون في الأسلحة الموجهة تجاههم.. دون أن يعلم أحدهم أنتهت هذه الليلة على خير أم أن ليلهم سيطول..

نهضت بي ناريا من سريرها بعد انتصاف النهار بقليل.. كانت قد سئمت من البقاء في الغرفة وحيدة بانتظار

استدعاء الرئيس لها، والذي لا يبدو أنه سيحدث في وقت قريب.. فخرجت من الغرفة عازمة الذهاب إلى القاعة الرئيسية ومعرفة سبب هذا التأخير..

رغم المدة التي مرت منذ انضمامها للثوار، لكنها لا تدري بعد هل تخطيطها سيؤتي نتائج مثمرة أم لا، وهل يستحق الثوار نيل ثقتها أم لا.. كل ما كان عليها فعله هو الماضي قدما في خطتها ورؤية النتائج قبل أن تستقر على أي تغيير..

بعد سير مضمّن وساقها لم تتعاف بعد بشكل تام، دلفت بي ناريا إلى القاعة باحثة بعينيها عن الرئيس بين الموجودين، فلم تجد له أثراً، ولا لهارولان.. لكن لم يفتها رؤية الوجوه التي علاها الاكفهار والغضب وهي تنظر إليها، فخطت خطوة للداخل والدهشة تملؤها عندما وجدت من يعترض طريقها قائلاً بغضب "ما الذي تريدينه منا بعد؟"

فوجئت للسؤال الذي لا محل له من الإعراب، وقبل أن تتفوه بكلمة سمعت امرأة باكية في جانب المكان تصيح "أنت السبب.. قدومك هو سبب ما حدث.. كان يمكن ألا يموت.. كان يمكن ألا يموت"

وغرقت في النواح وقربها عدد من النساء يهدئنها، فيما قال رجل آخر "أجل، هي سبب مقتل موراك والآخرا.. لولاها لما اقتحم الجنود منزله وقتلوه جميعاً"

قالت بي ناريا بحدة "هل لي أن أعرف ما يحدث؟"

أجابها أحد الرجال "موراك.. الرجل الذي استضافك وهارولان ليلة هربك من الجنود، قد هاجمه الجنود بتهمة المعاونة في تهريبك وقتلوه بعد استجواب عنيف.. ومعه كان اثنين من رفاقنا فقدناهما أيضاً.."

لم يؤثر الخبر كثيراً في بي ناريا التي رأت أن من الطبيعي أن يكون الثوار مستهدفين من جنود مانيم، وما وجودها إلا حجة للقبض على أحدهم وقتله، لكنها عرفت عن الافصاح عن آراءها التي ستثير حفيظتهم ولا شك، وقالت عوضاً عن ذلك "كيف أكون سبباً في شيء لم اختره بإرادتي؟ تهريبي ولجؤي إلى منزل ذلك الرجل كان تخطيطاً منكم.. كنت أستطيع تدبر أموري دون أن تزجوا أنفسكم في الأمر.. فلا تلووموني الآن"

نهضت إحدى الفتيات وقد امتلأت غيظاً وصاحت وهي تركل ساقها المصابة "يا لك من ناكرة للجميل"

أسقطتها الركلة أرضاً وهي تتأوه والألم ينتشر حارقاً في ساقها، وكأنها تعرضت للكسر من جديد.. غالبت ألمها وهي تنظر إلى الفتاة بحنق محاولة مكابرة نفسها وعدم إظهار خوفها مما قد تفعله هي أو غيرها في غضبتهم المجنونة هذه، بينما قال رجل يقف قريباً منهما "لا داعي لاستعمال العنف فلن نسلم من رئيسنا أبداً"

تحاملت بي ناريا على نفسها لتنهض وهي تقول بغضب "لن أنسى هذا أبداً.. أنتم تستهينون بي لأنني وحيدة، لكنني لن أنسى لكم هذا"

صاح رجل آخر وهو يدفعها بقسوة كادت تسقطها أرضاً من جديد "اغربي عن وجوهنا.."

تلفتت بي ناريا في وجوههم والغضب قد أخذ منها مأخذه، ولأحظت سوبي التي كانت تجلس على مبعدة دون أن يبدو في عينيها أي رغبة بإعانتها، فعلمت أن الجميع قد انقلبوا ضدها الآن..

كانت تهمّ بإفراغ غضبها للمعاملة التي لا تستحقها، لكنها غالبت نفسها واستدارت مغادرة القاعة بعرج واضح

وهي تعض شفيتها للألم الذي ازداد في ساقها المصابة.. تحملت وتحملت وهي تسير في الممر الخالي الطويل حتى فقدت القدرة على احتمال الألم وتهاوت أرضاً.. ظلت على جلستها متألّة وهي تجد أن دموعها تتدافع من عينيها غصباً عنها فأخذت تمسحهما بيدين مرتجفتين.. لا تعلم ما الذي فجر مشاعرها بهذه الطريقة.. لقد مرّ وقت طويل منذ اكتشفت حقيقتها، واكتشفت زيف الحياة التي كانت تحياها، واكتشفت أن عمرها كله كان أوهاماً.. لكنها تصبّرت وتجلدت وحاولت إنقاذ حياتها من قبضة مانيم.. وقعت في عدة مصائب وخرجت منها دون أن تذرف دموعاً.. خانها الكثيرون وتناستهم بأسرع من البرق..

لكن الآن..

الآن فقط شعرت أن جسدها لا يحتمل كل هذه الانفعالات.. أن قلبها قد فاض بما به.. وأن ما كانت تداريه أصبح ثقيلاً لا تجد لديها الجهد الكافي لمداراته أكثر من هذا.. الآن فقط شعرت أنها ضعيفة، وأن ابتعاد الآخرين عنها وخيانتهم لها تؤلّها وتجعلها يائسة مهزومة.. تمنّت لو وجدت قربها يداً قوية تسندها وتحميها وتعينها على ما تواجهه.. كأبيها الملك الذي كان فقده لا يعوض بالنسبة لها.. لكنها خنقت هذه الأمنية باستنكار وهي تخفي وجهها تحت يديها محاولة تماك نفسها لئلا تنفجر في بكاء هستيري تأخر كثيراً..

سمعت خطوات خافتة تقترب منها فظنت أنها لسوبي أو لإحدى الفتيات الأخريات لذلك لم تهتم لأمرها وهي لا تغيّر جلستها، عندما سمعت صوتاً أثار نفضة في جسدها رغم خوفه يقول "يا للعجب.. هذه أول لمحة إنسانية تبدر منك.."

رفعت بصرها متطلعة إلى وجه هارولان بصمت من بين دموعها.. كان وجهه خالياً من السخرية والجهامة التي اعتادت عليها.. بدا سمحاً ينظر إليها بشيء من العجب المختلط بالتعاطف مما جعلها تشيح بوجهها بعيداً..

أيراها ضعيفة الآن؟ أيراها تستحق الشفقة؟..

وجدته يُنهضها وهو يتساءل "هل أنت قادرة على السير؟"

حاولت أن تعود إلى غرفتها رغم عرج ساقها المصابة، لكنها وجدته يسدّ طريقها ماداً ذراعه وهو يقول "لا داعي للمكابرة.. سأعينك على السير إلى هناك.."

لم تُبدِ اعتراضاً دُهِشَتْ له وهي تستند إلى كتفه وتسير محاولة عدم الضغط على ساقها المصابة، وبصمت عادت دموعها تسيل على وجنتيها من جديد.. وكأنها أخيراً استسلمت لضعفها وحاجتها للآخرين، وهو ما كانت تكابر عنه طوال الوقت..

سمعته يقول وهو يلاحظ دموعها الصامتة "أتعلمين؟ إظهار القوة والشدة ليس بالأمر المستحب على الدوام.. قد تشعرين أنك لست بحاجة لأحد، وتظهرين هذا للجميع.. لكن في اللحظة التي تساورك فيها الحاجة للآخرين، تجدينهم قد أداروا ظهورهم لك.."

صمتت دون أن تعلق وهو يضيف "إشعار الآخرين أنك ضعيفة، أنك بحاجة للتعاطف والمواساة، أنك بحاجة لقربهم منك هو ببساطة إشعارهم بأنك إنسانة مثلهم.. ولست جهازاً آلياً خالياً من العواطف.."

وصل إلى غرفتها الخالية فتركها تسير لتجلس على سريرها بصمت.. ولما طال الصمت بينهما دون أنه يغادر

قالت بصوت خافت "ألن تسألني ما الذي أبكاني بهذا الشكل؟"

قال بابتسامة جانبية "لا أعتقد أنك ترتاحين لوجودي بشكل كافٍ ليسمح لي بهذا السؤال.. أنت تبغضينني وأنا أدرك ذلك جيداً"

صمتت وهو يضيف "فقط أرجو ألا أكون أنا سبب هذه الدموع.."

هزت رأسها نفيًا دون أن تنظر إليه، فقال "ألاحظ أنك لم تنفِ كونك تبغضينني!!!"

قالت مشيخة "أجل.. أنا أبغضك حقاً.."

تساءل "لماذا؟"

أجابت دون أن تتطلع إليه "منذ رأيك وجدت أنك تستهين بي وتستهزئ بكل ما أقول.. لم يعاملني أحد بقلة

احترام كما عاملتني أنت.. وغازطني أنك لا تراني ذات أهمية تذكر"

ابتسم معلقاً "لم أتعمد معاملتك بغير احترام.. لكنك أدهشتني منذ البداية بسلوكك الأمر والعدواني تجاه

شخص ينقد حياتك.. كنت متعجرفة منذ البداية وأنا لا أطيق التعامل مع المتعجرفين.."

تساءلت وهي تنظر إليه "أمازلت تراني متعجرفة؟"

أجاب بابتسامة صغيرة "بل تبدين مختلفة جداً عما كنت عليه في السابق.. وكأنك شخص آخر.."

أطرقت مفكرة في قوله عندما سمعته يضيف "أتعلمين؟ أسلوبك المتعجرف العدائي قد يغطي تماماً على جمال

مثل جمالك فلا يرى منك الآخرون إلا ما يبغضونه منك.."

نظرت إليه بدهشة، فقال مشجعاً "الابتسامة ستزيد وجهك جمالاً.."

أشاحت بوجهها دون أن تحاول الابتسام، فقال متتهداً "الطريق أمامك طويلة يا فتاة.."

وغادر الغرفة تاركاً إياها صامتة وهي تقطب بشيء من الغيظ، لماذا قال لها هذا؟ كيف يسمح لنفسه بتجاوز

الحدود في الحديث معها؟ والأهم من ذلك كله، لماذا الدماء الحارة تغزو خديها؟ لا تملك مرآة في الغرفة لكنها

واثقة أن خديها قد احمرًا بشدة..

غلبها الحنق من نفسها، لأنه وصفها بالجمال يغزوها الانفعال بهذا الشكل؟ هذا أقل ما قيل عنها منذ وعت

الدنيا.. لقد ألفت المديح حتى ما عاد يؤثر فيها، فلماذا شعرت بأن كلماته هزّت شيئاً في أعماقها؟..

دلفت سوبي الغرفة بعد فترة من الوقت وهي تنظر إليها بإحراج قائلة "سامحيهم يا جوين.. إنهم مصدومون

وثائرون، ولم يجدوا من يردعهم.. ليس من عادتهم التصرف بوقاحة مع أي كان.."

قالت بي ناريا بغيط "على الأقل كان من المفترض أن تكوني أنت في صفي.."

أطرقت سوبي قائلة "أسفة.. لم أستطع معارضتهم.. لكن لا تقلقي لقد نالوا ما يكفيهم.."

نظرت لها بي ناريا باستفسار، فقالت "لقد أتى هارولان منذ قليل ولقنهم درساً في الأخلاق.. لم يثر هارولان

عليهم بهذا الشكل من قبل وهم مصدومون لذلك.."

خفق قلب بي ناريا وهي تحاول ألا تظهر اهتمامها.. لقد دافع عنها ضد رفاقه، فهو لا يراها مخطئة إذن..

سمعت سوبي تقول "لقد وقف هارولان في صفك مخالفاً الجميع، ألا يسعدك هذا؟"

قالت مقطبة "ولماذا يجب أن يسعدني أي شيء يصدر منه؟"
قالت سوبي "أنت لا تعرفينه بعد، ولو عرفته حقاً لسررت لمجرد أنه بادلك الحديث.."
نظرت لها بي ناريا باستنكار، فابتسمت سوبي لجهلها موضحة "هارولان يعتبر أكثر من مجرد تأثر في أعين الآخرين.. إنه يقترب من كونه رمزاً.. وما مرّ به ليس بالشيء القليل، لذلك الكل يعامله بتبجيل.."
تساءلت بي ناريا "وما الذي مرّ به ليحصل على مثل هذه الهالة؟"
حاولت إخفاء فضولها فبدأ سؤالها على شيء من الهزء مما دفع سوبي لتقول مقطبة "آلام الآخرين ليست مادة للاستهزاء يا جوين.. ظننتك تدركين هذا.."
وغادرت الغرفة بشيء من الضيق تاركة بي ناريا تخاطب نفسها مغممة بهزء "آية آلام قد مرّ بها شخص لا يكاد يكفّ عن الضحك طوال النهار؟ لابد أنه شيء تافه مما يراه العامة كبيراً.. يا للسخف.."
